

مقدمة: إعادة التفكير في مشروعات العائلة العربية

سعاد جوزيف ومارتينا ريكر

ترجمة: سهام بنت سنية وعبد السلام

العائلة باعتبارها حيزًا إشكاليًا في العالم العربي

تشكل العائلات موقعًا استراتيجيًا يستوعب مشروعًا يسعى نحو إرساء فهم أكمل لتعقد العملية الاجتماعية المعاصرة في العالم العربي. تتبع دراسة طلال أسد (2003) الأصول التي ينتسب إليها الدستور الحاكم للقانون الحديث والأخلاقيات الحديثة في مصر تحت الاستعمار الكولونيالي، وتحدد تلك الدراسة المصطلح اللغوي الجديد عائلة ("أسرة" حديثة) باعتباره لفظًا معبرًا عن مجموعة من السلوكيات الاجتماعية الحديثة (ميل البشر نحو تشكيل مجتمعات). يقع مسار هذا التنظيم الحديث للعلاقات الاجتماعية والثقافية موقع القلب من مشروع البحث الذي تجرّبه مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات العربية. هذا المشروع معني بدراسة العائلات في مواقع خاصة محددة، وسنعبّر عنه -حسب تصورنا- بلغة السلوك الاجتماعي الذي يجعل البشر يميلون نحو تشكيل مجتمعات، فهو يسعى من ثم إلى فهم الخيوط المركبة والمتغيرة للعلاقات التي تحدد منطقة ثقافية-تاريخية وجغرافية معينة.

احتلت العائلات دائماً موقعاً مركزياً في معظم الحوارات الشائعة والعلمية عن العالم العربي عبر القرن الماضي. تدخل العائلة في نسيج جميع نواحي الحياة الاجتماعية تقريباً، لذا فهمها الناس على أنها ذات أهمية قصوى لجميع أنواع المشروعات الاجتماعية: الكولونيالية منها، والمضادة للكولونيالية، والقومية، والعروبية، والاشتراكية، والحداثية، والدينية، والنسوية. ادعت الحركات الآتية من مختلف الاتجاهات أن حيز العائلة يخصها، رافعةً بذلك غرضها وإنتاجها إلى مبدأ يكاد يكون مقدساً. فقد حشدت العلاقات، والأخلاقيات، والرموز الكامنة في خطاب العائلة للربط بين العمليات والمؤسسات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والدينية، والثقافية. وقد اعتُبرت العائلات العربية ذات أهمية قصوى للتنمية، والديموقراطية، والمواطنة التشاركية، وحقوق الإنسان، والإنتاج الأساسي للثقافة. تكاد دراسات المجتمعات العربية تشير دائماً إلى بنية العائلة وديناميكياتها. إن كثافة القيمة الاجتماعية التي تحشد في موقع العائلة تجعل من دراسات العائلة العربية نقطة انطلاق استراتيجية للبحوث والخلافات المتعلقة بالترتيبات الاجتماعية في المجتمعات العربية.

لكن "العائلة" باعتبارها فئة ثقافية وتحليلية صارت من بين أكثر الفئات الاجتماعية، المرتبة في طبقات حسب ما فيها من معانٍ، وحسب درجة ارتفاع التوقعات منها. ربما لا توجد أية فئة من فئات التحليل الاجتماعي في المجتمعات العربية، وللمجتمعات العربية، تبدو أكثر "ثباتاً"، لكنها مرنة في الوقت نفسه أكثر من العائلة. يبدو أن بنية العائلة العربية وخطابها مصممان بحيث تتمتع بإمكانية المرونة، والتفاوض،

والتشكيل، وأداء المهام (الأدائية)، مع متانة جوهرها؛ فينتج عن ذلك توليفة من العائلات ومظهر يبدو مادياً ملموساً.

إن تنوع تشكيلات العائلة واختلافها، والحراك الاجتماعي للأفراد المكونين للعائلة، وإهمال لفظ العائلة من بين الفئات الأخرى للألفاظ مثل (الأسرة) (الأقارب)، و(العيلة) (الفاميليا)، و(البيت) (بيت الأسرة))، و"الوجود" المزمّن للعائلة و"المراوغة" المزمّنة لها فيما يخص ما يكونها ومن يكونها، كل هذا يتطلب تحليلاً ملحاً. إن تزامن "المراوغة" مع "الوجود" لهُو بالضبط ما يجعل "العائلة" بمثل هذه القوة حقاً في العالم العربي.

العائلة مفعمة بالحياة في فلسطين، ولبنان، ومصر، وفي الأماكن التي يغترب فيها أهل هذه البلدان، وهي المواقع المركزية التي يدرسها هذا الكتاب. يبدو أن الناس لم يكفوا أبداً عن إعادة اختراع العائلات وإعادة الاستثمار فيها. فعلى الرغم من التغيرات التاريخية العميقة والمتنوعة في حياة الناس، والمجتمعات المحلية والمجتمعات الأكبر منها طوال القرن العشرين، شغلت العائلة حيزاً معتبراً ينظم فيه الأفراد حياتهم اليومية ويعيشونها. أدى تدمير المنازل في فلسطين، وتشتيت العائلات بطرد الأقارب، والعقاب الجماعي للعائلات الذي تحدده الدولة الإسرائيلية حسب مقاييسها إلى دفع العائلة الفلسطينية بعنف إلى السياسة. أما في لبنان، حيث تداعت الدولة أثناء الحرب الأهلية (1975-1990)، وظلت في مأزق إلى حد بعيد لما يقرب من عقدين من الزمان بعدها، فقد يمم النشطون المدنيون ومن شابههم شطرَ أسرهم وما لديها من

شبكات علاقات للحصول على الموارد الأساسية والأمن. وفي مصر، دأب الناس على استخدام نظام العائلة مرارًا وتكرارًا للحصول على الأمن في وجه دولة قمعية يتزايد قمعها للناس، وتزعزع حياة الناس بفعل الاقتصاد النيوليبرالي. ما زال الناس يعتمدون على عائلاتهم كما يبدو، لا بسبب "المتانة" الثقافية للعائلة "التقليدية"، بل بسبب انهيار مشروعات الدولة المسيطرة على التخطيط، وهبوط أسهم مشروعات الدولة الليبرالية والاشتراكية، وفشل مشروعات الضمان الاجتماعي، وفشل المشروعات القومية مع ظهور نذر الحرب والهجرات القسرية¹.

لابد أن يدرس الظهور القوي لمفهوم العائلة/العائلات، والحقائق الواقعية الملموسة المتعلقة بها في العالم العربي في سياق القلاقل التي حدثت في أعقاب رحيل الاستعمار الكولونيالي، وفي مواجهة الحروب الدولية والمحلية، وفي ضوء حقائق الواقع التي نتجت عن التهجير القسري والانتقاضات الاجتماعية، وفي النتائج عميقة الغور للمشروعات الحديثة للدولة المسيطرة على التخطيط. ومن العوامل المهمة لما يبدو "عودة" إلى أحضان العائلات فشل مشروعات بناء الدولة العربية، وتناقضاتها في تقديم هياكل بنية العائلة في سياق هذه العملية، في أزمة الحداثة. تبني مشروعات الدولة المسيطرة على التخطيط عمومًا مشروعات عائلة مصممة لتأكيد وتقوية التنظيمات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية المتصورة لبناء الدولة، وتذهب جاكلين ستيفنز إلى أن الدول تُستثمر إلى حد بعيد في القواعد الحاكمة للقرابة (Stevens 1999, 235).

¹ هذا ليس "عودة" للكيانات العائلية "التقليدية". إن فكرة العائلة "التقليدية" نفسها من اختراع المشروع الحداثي، كما ذهب بشارة دوماني (Beshara Doumani) بشكل مقنع، كما أسهمت هذه الفكرة في فشل المشروع الحداثي (Doumani 1998).

حقاً، قد يذهب المرء إلى إمكان تتبع فكرة "العائلة" في حد ذاتها باعتبارها ناتجاً من نواتج مشروعات الدولة المهيمنة على التخطيط (Joseph 2005). ويمكن للمرء أيضاً أن يذهب إلى أن الدول المهيمنة على التخطيط اخترعت فكرة العائلة، منقطعة الصلة بأي من التشكيلات الاجتماعية الأخرى الموجودة، باعتبارها وحدة من وحدات التشكيل السياسي من خلال استخدام التشريعات الحاكمة للعائلة، وقانون العمل، والتعليم، والتنمية الاقتصادية والاجتماعية. وتذهب جوديث بانتر إلى أن "الموضوع لا يقف عند حد افتراض الدولة مسبقاً لوجود علاقات القرابة وافتراض نظام القرابة مسبقاً لوجود الدولة، بل يتخطاه إلى أن "الأفعال" التي تحدث باسم أحد المبدئين تحدث بلغة المبدأ الآخر، مما يؤدي إلى الخلط وتشويش الفوارق بينهما...". (Butler 2000, 11). وباعتبار العائلة نتيجة من نتائج علاقات القوة، فهي تجسد علاقات قوة متشابهة مع الدولة وكثيراً ما يستحيل تفرقتها عنها (Donzelot 1997, Deleuze 1997).

الممارسات النصية: دراسات العائلة العربية

ظلت العائلة حيزاً مفاهيمياً إشكالياً في فكر ما بعد التنوير. وبارتباط فكر ما بعد التنوير بمثال المواطن-الذات الفرد باعتباره منشئ مشروعات الحدائة المحلية، وما يترتب عليها من حقوق تقوم على أساس سرديات تحرير الإنسان، فقد تزايد تصور الفكر ما بعد التنويري للعائلة على أنها تمثل معايير تاريخية قديمة موروثه

لا بد من تحرير المواطن-الذات الفرد منها. وبغض النظر عن هذا الاشتباك النقدي مع الأصل الذي تنتسب إليه العائلة العربية، تظل الكتابات المعرفية الأكاديمية في دراسات النوع الاجتماعي ودراسات المرأة قائمة على أرض صلبة في إطار هذا الأصل. ركزت الكثير من الجهود المبذولة في إطار دراسات النوع الاجتماعي ودراسات المرأة على الطرق التي يمكن بها "تحديد" الذات الفردية لنوع من النوعين (النساء أو الرجال) و"تمكينها" من التحرر من الخيوط المتشابكة للروابط الاجتماعية والثقافية المركبة وشبكاتهما، التي تقع غالبًا في إطار "العائلة". والعائلة محمّلة بمزيد من التهيؤات الجغرافية للاستعمار الكولونيالي في سياق دراسة العالم الخارج عن النطاق الأوروبي-الأمريكي. لم يقتصر الأمر على استعمال النساء وبنى العائلة الداخلية باعتبارها استعارات مجازية داخل الخطاب الكولونيالي، بل صارت أيضًا الموضوع الذي غرست فيه السياسات المعادية للكولونيالية إنتاجها للأصالة الثقافية (Chatterjee 1993). ما زالت دراسة دراسات النوع الاجتماعي للهياكل العائلية المحلية في زمن ما بعد رحيل الاستعمار الكولونيالي تتناضل ضد هذه النقوش التاريخية المركبة ومعها، أثناء تجول هذه الدراسات في أرض محفوفة بالمخاطر، هي أرض ثنائية التقاليد والحداثة، وما تعتمد هذه الثنائية من خطابات ما بعد الاستعمار الكولونيالي المتعلقة بالسكان الأصليين.

وإنه لما يتجاوز حدود هذه المقدمة تقديم الأصل الذي تنتسب إليه دراسة العائلة في العالم العربي الحديث. ابتعد المجال، وبخاصة الباحثات والباحثين في دراسات النوع الاجتماعي، عن الإنتاج الأصلي للعائلة العربية كما مثلتها كتابات حليم بركات (1993) أو هشام شرابي (1998)، لكن النظرة المتفحصة السائدة التي رُويت من خلالها قصة الذات الفردية المنتمية إلى أحد النوعين (من نساء أو رجال) أتت عن طريق عمليات فصلت بها نفسها عن الشبكات العائلية المحددة السائدة ثقافيًا. من اللحظات المهمة التي يمكن من خلالها تتبع (الإعادة) المباشرة وغير المباشرة لجمع شتات خطاب الأصالة في دراسات النوع الاجتماعي فيما بعد الاستعمار الكولونيالي لحظة نشر كتاب جمهورية أبناء العم: قهر النساء في المجتمعات المظلة على البحر المتوسط لمؤلفته جيريمين تيليون 1966 Germaine Tillion's 1966 *The Republic of Cousins: Women's Oppression in Mediterranean Society*. كاتبة هذا الكتاب عالمة أنثروبولوجية فرنسية من الجزائر، لذلك يمكن قراءته على أنه نص ما بعد كولونيالي فيما يخص الطرق التي يرفض بها تقديس حدود منطقة البحر الأبيض المتوسط. لكن إصرار تيليون على اعتبار منطقة البحر الأبيض المتوسط حيزًا مشتركًا يتطلب رمزًا جديدًا يمثل كمًا متغيرًا، هو العائلة وعمليات إعادة إنتاجها، لضمان الفارق الجغرافي بين "الشمال" و"الجنوب" (Rieker 2005). القضية هنا ليست الإشارة إلى أن هذا هو النص المؤسس لدراسات النوع الاجتماعي ما بعد الكولونيالية للمنطقة في حد ذاتها، بل الإشارة

إلى سهولة أن تصوير 'العائلة باعتبارها حيّزًا إشكاليًا' رمزًا يمثل كمًا متغيرًا يُستخدم لتحليل قصص حديثة أخرى. وبعد أكثر من أربعة عشر عامًا تلت، فإن البناء الثقافي لـ"سجن" العائلة العربية باعتباره تنظيمًا لا علاقة له بالتاريخ، مكونًا من معايير وعلاقات لا بد من تحرير الأفراد منها (بالنسبة إلى النساء والأطفال)، أو إصلاحهم من آثارها (بالنسبة إلى الرجال) يظل نصًا ضمنيًا يسهل التعرف عليه في الدراسات الأكاديمية، وعمل المنظمات غير الحكومية، ووسائل الإعلام المطبوعة، بل حتى في مجال الحروب الدولية. يعاد إنتاج العائلة العربية في هذه المواقع الأكاديمية، والصحفية، والعامّة، والسياسية باعتبارها مؤسسة لا بد أن يحاربها الفرد للحصول على حقوقه، لا باعتبارها مؤسسة يتمتع أفرادها بحقوق. وفي هذه الصورة التمثيلية، تصوير العائلة (والعلاقات بين النوعين من رجال أو نساء) نوعًا آخر من أنواع الحدود بين العالم الأوروبي والعربي، حدًا مميزًا فاصلاً وفارقًا بينهما، في الحيز الجغرافي-الثقافي المشترك لشعوب منطقة البحر الأبيض المتوسط.

في المحاولات حديثة العهد لمراجعة الاستعارات المجازية الكولونيالية المركزية مثل الحريم، نجد الباحثات والفنانات النسويات العربيات يواجهن السرديات الحديثة الرامية إلى تحرير المرأة من مؤسسة العائلة التي تقدم بوصفها كيانًا طبيعيًا مواجهة نقدية، (مثل كتاب فاطمة المرنيسي أحلام تجاوز الحريم *Dreams of Tresspass* (1994) وفيلم صمت القصر لمفيدة ثلاثي (1969). تطرح هذه الأعمال باعتبارها نصوصًا ما بعد كولونيالية معنية بالنوع الاجتماعي مزيدًا من التساؤلات عن الصوت الجوهري المنشئ

للموضوع ما بعد التنويري، لكن الموقع الذي تستجوب منه هذه النصوص مختلف موضوعاتها يظل موقع التحرير الأبدى للذات الفردية. هذه نقطة قوة دراسة التنظيمات العائلية المحلية من منظور من داخل "دراسات النوع الاجتماعي" لكنه أيضًا نقطة ضعفها. المادة الثرية عن التواريخ الاجتماعية للعائلة التي نشرت عبر السنوات القليلة الماضية، وبخاصة عن الغرب (مثلاً: Khater 2001; Doumani 1995) قادرة -تميزًا للشيء بضده- على استكشاف أقوى لإنتاج الشبكات العائلية ووقوع ذاتية الفرد في حبالها في إطار سياقات تاريخية واجتماعية أوسع. لكن هذا النهج يضيع فيه الفهم الأكمل لما تمتلكه هذه الشبكات من آليات قمع، والأصوات المهمشة (على أساس النوع من رجال أو نساء، وعلى أساس الطبقة) التي تخدم في عملية الإنتاج النظامية لها (للاطلاع على استثناء من هذا انظري/انظر Thompson 2000). سعت مجموعة أخرى من الكتابات التاريخية الصادرة حديثًا التي تركز على مصر بالتحديد (Abu Lughod, 1998; Shakry 1998) إلى تفكيك السبل التي أمكن بها جعل الفرد المنتمي إلى أحد النوعين الاجتماعيين [النساء هنا] مرئيًا في الإصلاحات المبكرة للأسرة الحديثة. وكما أوضح أسد (2003) في مقاله المؤثر عن القانون الكولونيالي في مصر وعن عمل المفكر الإسلامي محمد عبده على الأخص، فإن ما صار يسمى تقليديًا، وحديثًا، وأصليًا، وهلمجرا، في سياق صنع المشروعات الحديثة المضادة للاستعمار الكولونيالي كان دائمًا بالفعل عملية تصور وكتابة "تقليد" جديد وما يعتبر آخر بالنسبة له.

مشروع جماعة العمل المعنية بالعائلات العربية

يوجد القليل جدًا من العمل النقدي الجديد للعائلات العربية المعاصرة، على عكس الكم الكبير من الكتابات المتزايدة عن التاريخ الحديث. ورغم مركزية العائلات العربية في الحديث السياسي والثقافي، فإن دراسات العائلة العربية تعد من بين أقل الساحات تطورًا نظريًا وعمليًا في مجال البحث الأكاديمي عن العالم العربي المعاصر. من الصعب العثور على دراسات موثوق بها عن العائلات تبحث التقاطع بين العائلة، والطبقة، والدين، والنوع الاجتماعي والجيل، بما يتجاوز العمومي والرسمي. أبحاث قليلة نسبيًا هي التي تدرس التقاطعات بين العائلة، والطبقة، والدين، وتشكيل الدولة، والنوع الاجتماعي والجيل. كان وضع البنى السياسية والاقتصادية والعائلية ضمن الأبحاث بشكل تاريخي منظم موضوعًا للبحث لدى بعض الباحثين القلائل فقط الذين بدعوا عملهم في وقت حديث نسبيًا (Thompson 2000, Khater 2001, Doumani 2003, Pollard 2005). لم يحظ وضع العمليات العائلية في إطار تقاطعات الحركات والتحويلات القومية والكونية وربطها به إلا بدراسات أو تنظيرات أقل مما ينبغي. نكاد لا نجد أي بحث عن العائلات العربية يتميز منهجه بالتداخل بين فروع العلم، وبصفة البحث المقارن والتاريخي والمتخطي للقوميات.

الكثير من الكتابات في مجال العائلات العربية لا علاقة لها بالتاريخ نسبياً. وكثيراً ما تصبغ هذه الكتابات العائلات العربية بالصبغة الجوهريّة، وتتعامل معها بوصفها كتلة متجانسة، وتزعمها من سياقها. وهي تميل إلى استخدام مصطلح "العائلة العربية" بشكل عام، مفترضة مسبقاً أنه مفهوم غير إشكالي يمكن أن ينطبق عبر الطبقات والبلدان. أثارت مناقشات مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات العربية سؤالاً عن مصطلح "عربية"، ما الذي يجعل أية عائلة "عربية"؟ مقابل المصرية، أو الفلسطينية، أو المتعلقة بمنطقة "البحر الأبيض المتوسط"؟. يبدو أن بعض الكتابات عن العائلات "العربية" لا تحتاج إلى مرجعية جغرافية أو مرجعية ترجع إلى التنظيم الاجتماعي. يقدم تحجر فئة العائلة "العربية" لبعض هذه الكتابات هدفاً يُشار إليه باعتباره مسؤولاً عن علل المجتمع العربي (Barakat 1993, Sharabi 1988). بل إن الكتابات التي تميل إلى إضفاء الصبغة الرومانسية على العائلات العربية تتفق مع منتقديها على أن بنية العائلة العربية ساكنة ولا تتغير. تحدث الكتابات الأحدث هذا التمثيل للعائلات العربية في صورة لا علاقة لها بالتاريخ؛ وقد كان الكثير من الأبحاث الأكاديمية التي أجريت في زمن أحدث عن العائلات العربية تاريخياً حقاً. تقدم كتابات أكرم خاطر (2001) Akram Khater، ونيللي حنا (1998) Nelly Hanna، وإليزابيث طومبسون (2000) Elizabeth Thompson، وبشارة دوماني (1995, 2003) Beshara Doumani، وليزا بولار (2005) Lisa Pollard تفكيراً نقدياً متبصراً في نقطة التحول لمشروع الحداثة. لكن هذه الكتب التي

تركز على نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين هي نفسها ليست عن مشروع الحداثة. وغطى القليل من الكتابات النقدية عن العائلات العربية مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

إن إهمال دراسات العائلة أمر لافت للنظر بشكل خاص، مع مركزية العائلات العربية في المجتمعات العربية. العلاقات، والقيم، والرموز القائمة على العائلة تدمج المؤسسات والعمليات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والدينية، والثقافية مع بعضها البعض في نسيج واحد. والعائلات العربية ذات أهمية قصوى لتنمية الديمقراطية أو عرقلتها، وحقوق الإنسان، والمواطنة، ومحو الأمية القانونية، والسلام، وحل الصراعات، والتنمية الاقتصادية. إن تحليل هذه الجوانب (وغيرها) في المجتمعات العربية يؤدي دائماً وأبداً إلى العودة إلى تحليلات هياكل بنية العائلة وعملياتها. العائلات العربية تنتج التحولات في هذه المجتمعات وهذه التحولات تنتجها، وهكذا تؤدي التغيرات المهمة في العائلات إلى بدء التغيرات في غيرها من الساحات الاجتماعية وتعطي الإشارة لهذا البدء.

ومن المفارقات أن مركزية العائلة نفسها هي التي تسببت في الغياب النسبي للدراسات النقدية للعائلة العربية (Joseph 2008). ربما لا يكون هذا أمراً غير معتاد، إذ يذهب دونزيلوت Donzelot إلى أنه حتى في أوروبا عند بدايات القرن العشرين، صارت العائلة "القاعدة التي توقفت عند عتبها جميع أنواع النقد" (5, 1997). ربما كان نقص الدراسات النقدية للعائلة أيضاً جزءاً من عواقب إعطاء الامتياز لـ"النوع

الاجتماعي" (وهو مصطلح مأخوذ من الدراسات النسوية الغربية) باعتباره الفئة الرئيسية للتحليل، مع اهتمام "دراسات النوع الاجتماعي" بالتركيز على "الفرد" باعتباره نقطة انطلاقها.

لكن المجال العام في العالم العربي متشعب بحديث العائلة. يتشابه الناتج النصي لممارسات عمل الدولة، من الدساتير إلى قوانين العمل، مع العائلة. العائلة في دساتير معظم الدول العربية تعرف بأنها اللبنة الأولى لبناء المجتمع. بهذا المعنى، شكلت مشروعات الدول العربية المهيمنة على التخطيط مشروعات العائلة (Joseph 1991, Thompson 2000) باعتبارها مواقع لإنتاج الرغبات-الأحلام، والمثل، والرؤى، والآمال القومية عن ما يمكن أن يكونه "الشعب" و"الأمة". وقرب النهاية، نظمت مشروعات الدولة المهيمنة على التخطيط تشريعات العائلة، وقوانين العمل، وخطط التنمية الصناعية والزراعية، والبرامج التعليمية، وما إلى ذلك. من هذا الجانب، تشابهت مشروعات الدولة المهيمنة على التخطيط في الدول العربية مع مشروعات مثل هذه الدولة في غير ذلك من البلدان. ذهب جاك جودي (1983) Jack Goody مثلاً إلى أن الكنيسة الكاثوليكية أعلنت صدور قوانين كنسية لإعادة اختراع الأشكال العائلية بوصفها جزءاً من مشروعها الخاص لبناء الدولة. وادعي لين هانت Lynn Hunt أنه أثناء الثورة الفرنسية "كانت العائلة هي أوضح مادة في متناول اليد للتفكير السياسي، ليست العائلة بوصفها نوعاً من أنواع الخبرة الاجتماعية المشروطة، بل العائلة باعتبارها بنية متخيلة لعلاقات القوة (196, 1992). وذهب دونزيلوت Donzelot

بالمثل إلى أن العائلة كانت تحظى بالدعم من المحافظين والليبراليين على قدم المساواة أثناء الثورة الفرنسية، وأن نقادها كانوا يأتون أساساً من بين الاشتراكيين العلميين والطوباويين (5, 1997). وجادلت باولا باكيثا (1999) في أن الدولة الهندية قد بذلت كل جهدها لإعادة اختراع العائلة من منظور المشروع الهندوسي القومي.

بناء على ذلك، صارت تشريعات العائلة (الزواج، والطلاق، وحضانة الأطفال، والإرث) في معظم الدول العربية تلقى معارضة بين جماعات ذات طموحات سياسية مختلفة (مثلاً، القوميين، والإسلاميين، والنسويات). فنذر الحرب المتطايرة حول قوانين العائلة والتغيرات المستمرة في التشريع نفسه يتجلى فيها الشك في ثبات مشروعات الدولة المهيمنة على التخطيط. يعتقد أن قوانين العمل في العالم العربي أكثر "حادثة" من قانون العائلة. لكن حتى في ساحة قانون العمل تركت التناقضات بين متطلبات السوق والقيم الحداثية التي تدور حول النساء، والأطفال، والعائلة، حالةً من التشوش، جعلت قوانين العمل بلا أهمية غالباً حيث إنها كثيراً ما لا تطبق.

مشروع مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات العربية: تحليل مشروعات العائلة العربية

يتكون مشروع مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات العربية من مجموعة بحث جماعي متعاونة، متعددة التخصصات، مقارنة، وغير ثابتة، تدرس ديناميكيات العائلة المعاصرة. نقطة انطلاقنا التحليلية هي فكرة السلوكيات الاجتماعية التي تجعل البشر يميلون نحو الاجتماع بالآخرين، فالمجموعة تعمل على هذه الفكرة لفتح فضاءنا المفاهيمي الأوسع الذي يمكن من خلاله الفحص الدقيق لشكل (العائلات) الذي تأخذه التنظيمات الاجتماعية في العالم العربي. يذكرنا ديليز Deleuze بأن العائلة ليست مجرد "حقيقة ظاهرة، بل نتاجًا متحركًا، شكلاً غير مؤكد لا يمكن فهمه إلا بدراسة نظام العلاقات التي يُحافظ عليها مع المستوى الاجتماعي-السياسي" (1997, p. xxv). من ثم، يدرس مشروع مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات العربية هذه العائلات، لا "لحشد" الناس داخل النظم العائلية باعتبارها شكلاً اجتماعياً صامداً لا يتغير، بل لفهم بنية السلوكيات الاجتماعية التي تجعل البشر يميلون نحو الاجتماع بالآخرين وطبيعتها المتغيرة في سياقها الاجتماعي-السياسي. تبنى دراسة العائلات العربية والأعضاء المكونين لها، وبخاصة النوعين (النساء والرجال) في سن الشباب، على أساس مجموعة مركبة من المجالات الأكاديمية والمجالات الفرعية، ومختلف الفاعلين والرؤى الاجتماعية التي تنشطها بعض المواقع. حظى موضوع التنوير القادر على الاستقلال بقراره، العامل على تحرير الإنسان إلى الأبد بالترحاب بقوة أيضاً في السنوات القليلة الماضية، في أطر كل من النيوليبرالية وجداول عمل الإمبريالية الجديدة. تتطلب هذه الموضوعات والأطر تحليلاً مدققاً جداً لكل من

السلوكيات الاجتماعية التي تجعل البشر يميلون نحو الاجتماع بالآخرين في إطار العائلة والأعضاء المكونين للعائلة عند لحظة مركبة من لحظات التغيرات الاجتماعية، والاقتصادية، والجغرافية في العالم العربي.

يركز عمل مشروع مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات العربية في هذا الكتاب على العائلات والشباب في مصر، وفلسطين، ولبنان، وأماكن تغربهم الانتقالية في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا. لهذا التركيز الخاص عدد من الأسباب. فأولاً، سادت العلاقات بين الغرب ومصر إنتاج الدراسات الأكاديمية في الشرق الأوسط تاريخياً. وبعبارة مختلفة، فإن فهمنا للشرق الأوسط قد أُنتج إلى حد بعيد من خلال منظور هذين المكانين. بناءً على ذلك، توجد كتلة مهمة من الدراسات الإثنوغرافية والتاريخية المتاحة عن مصر، ولبنان، وفلسطين. كل بلد من هذه البلدان لديه أيضاً تاريخ طويل من بناء المؤسسات حول دراسة المرأة والعائلة. معهد دراسات المرأة في العالم العربي بالجامعة الأمريكية بلبنان الذي أنشئ في عام 1973 هو أقدم هذه المعاهد في الشرق الأوسط الناطق بالعربية. ومعهد دراسات المرأة في جامعة بيرزيت (أنشئ في 1994 في فلسطين)، ومعهد دراسات النوع الاجتماعي والمرأة في الجامعة الأمريكية بالقاهرة (أنشئ في مصر في 2000) من بين برامج الدراسات العليا القليلة ومراكز البحث المعنية بدراسات النوع الاجتماعي والملحقة بجامعات في المنطقة العربية. كما أن مصر موطن العديد من المنظمات الملتزمة بالبحوث والدراسات في

موضوعات العائلات، والشباب، والنوع الاجتماعي، مثل مركز الدراسات الاجتماعية (التابع للجامعة الأمريكية بالقاهرة)، وملتقى المرأة والذاكرة، والمنظمات الدولية مثل مجلس السكان، والمركز الدولي لدراسات التنمية، واليونيسيف، وغيرها.

مصر وفلسطين ولبنان مواقع غنية بالمواد التي يمكن إعادة استجواب الفهم المهيمن للعمليات الاجتماعية والفاعلين الاجتماعيين وزعزعة استقراره فيها. المواقع الثلاثة جميعها تمر بتحويلات هائلة: المشروع الفلسطيني القومي صنّع وفكك عبر العقود الماضية، عقب نصف قرن من تفكك الأواصر، والاحتلال، والحرب، والعنف، وظهور حركات ورؤى متنافسة لطبيعة وتنظيم مشروع الدولة المهيمنة على التخطيط. والعقد الاجتماعي الذي أبرم بعد الحرب الأهلية في لبنان يُعاد التفاوض حوله بروى متنافسة تقوم على أسس مقلقة ومتنازع عليها، عقب ما يزيد عن ربع قرن من الحرب الأهلية، والعنف، والقتال. ومصر تعيد رسم الخرائط الجغرافية الاجتماعية في سياق إعادة الهيكلة النيوليبرالية في مصر. هذه المشروعات الثلاثة المختلفة لصنع الدولة التي تقع في مركزها التخييلات عن العائلة، والتي يوجد فيها بناء مؤسسات وكتابات ذات أهمية تاريخية عن دراسات المرأة، تقدم مادةً مقارنة ثرية لدراسة وفهم التشكيل الاجتماعي للحدث في هذه البلدان. إنها ثلاثة بلدان مهدت الأرض لظهور مشروعات الحدث في المنطقة، حتى قبل الكتابات المثمرة لقاسم أمين (1899)، وبخاصة فيما يتعلق بالمرأة والعائلة. ثلاثة بلدان تتصافر سماتها التاريخية والجغرافية تضافراً

وثيقًا، ولا يمكن تثبيت الحدود بينها بشكل مفهوم دون انتهاك الكثير مما في تاريخها. إنها ثلاثة بلدان حصرت تواريخها في تحديد أرضها الإقليمية، وإعادة تحديدها، وتفكيك تحديدها حتى وقتنا الحاضر، وهي قضية مركزية بالنسبة إلى مشروع مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات.

لا تنوي مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلة العربية الإسهام في إعادة إنتاج العملية الفريدة من نوعها، ألا وهي عملية صنع المعنى في المنطقة بالتركيز بشكل مطلق على هذه السياقات الثلاثة وخصوصياتها، إلا أن ما تتمتع به هذه المواقع الاستراتيجية من قوة مؤسسية، وتقاليد بحث أكاديمي، وفعالية عمليات جمع المادة الحديثة تجعل منها مواقع يمكن فيها مقارنة العمليات المعاصرة في إطار منظور لا يوجد فيه إلا اختلاف طفيف تاريخيًا. يأمل مشروع مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات العربية أن يقدم هذا المشروع الأولي المقارن في البلدان الثلاثة (وأماكن تغرب مواطنيها) باعتباره أساسًا مهمًا لدراسات مستقبلية في غير ذلك من سياقات بلدان الشرق الأوسط المتكلمة بالعربية.

الحرب، والطرْد، والعنف، والتهميش، والتهجير القسري بعض الكلمات الرئيسية التي تتفاوض حولها ميول البشر نحو الاجتماع بالآخرين في شكل العائلة ومكوناتها الشابة في أمور حياتها اليومية، والتي ستفيض وتتساقط على ديناميكيات جالياتها في الغربية. إن لحظات التفكك تلك هي التي تشكل المدخل إلى الأسئلة التي يطرحها مشروع البحث التابع لمجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات العربية لدراسة الشباب

والسلوكيات الاجتماعية التي تجعل البشر يميلون نحو الاجتماع بالآخرين في شكل عائلي في مصر، وفلسطين، ولبنان المعاصرين.

تدرس مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات العربية حداثة العائلة. إن المجموعة إذ تدخل إلى العائلة باعتبارها مؤسسة وخطاباً منتوجاً، فهي تبحث عن الأطر التي تُنتج العائلة من خلالها، مع الاهتمام بشكل خاص بالأفكار المتعلقة بالخطاب، والشباب، والزواج، وتخطي الحدود، وثنائية العام/الخاص. العائلة مشروع من مشروعات الدولة، والمؤسسات الدينية، والحركات القومية، والمشروعات الكولونيالية وما بعد الكولونيالية. ونحن نستخدم مدخلاً تاريخياً لتشريح الأطر التي تُنتج العائلة من خلالها. يعاد عرض هياكل بنية العائلة في الحاضر التاريخي. ونعني بالحاضر التاريخي أن العائلات تضرب بجذورها في الماضي وتمد فروعها إلى المستقبل القادم. فالحاضر المشتبك في حبال الماضي يعاد تشكيله بشكل ثابت.

نأمل أن نحلل الطريقة التي تدخل بها "العائلة" ضمناً في إنتاج الثنائية الليبرالية التعاقدية للعام/الخاص (Pateman 1988). نحن نسعى إلى تحليل فكرة "العام" والفكرة الوهمية عن أن العام شيء مختلف عن "العائلة". ونشير إلى وجود الكثير من "المجالات العامة" وأن المجال العام في حالة إعادة تشكيل مستمرة (Fineman 1995). ونأمل بالمثل في تحليل الطرق التي توضع بها "العائلة" ضمن الجهود

الليبرالية الرامية إلى تفويض التجمعات الكبيرة القائمة على القرابة وإنشاء "الفرد" - وهي نقطة ارتكاز مشروعات الدولة المهيمنة على التخطيط وعقودها الاجتماعية الفاشلة (Makdisi 2000).

لا يوجد مفهوم أو مؤسسة أكثر ارتباطاً ببنية ثقافية مصطبغة بالصبغة الجوهريّة من مفهوم العائلة. ولمحو وإزالة الصبغة الجوهريّة عن "الثقافة العربيّة" لا بد من إزالتها أولاً عن "العائلة". إن قراءة الوقائع المادية وإدخالها في فهم العائلات ومشروعات العائلة أمر مركزي كي تتمكن مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلة من تغيير قراءة فكرة "العودة" للعائلة العربيّة من منظور أحدث الاتجاهات الثقافية تغييراً نقدياً. ونحن نقترح أن يحل التحليل التاريخي، وتحليل الخطاب، والتحليل الاجتماعي القائم على الملاحظة العملية محل التحليل من منظور أحدث الاتجاهات الثقافية.

العائلة ليست بقايا ثقافية، بل هي استجابة للأزمات والحاجة إلى البقاء (Sayigh 2005, 2007). نحن نعتبر العائلات خبرات واقعية معيشة ونرى لبنية العائلة آثاراً خطابية ومادية قوية. فنرى العائلة شيئاً يُخترع ويُعاد اختراعه دائماً في ظل أزمات الدول الفاشلة والحداث الفاشلة. تهدف مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات إلى نزع الطابع الجوهري عن الثقافة، وفك مرساة سفينة الثقافة من مرفأ هياكلها التي لا علاقة لها بالتاريخ.

العائلة مجاز والمجازات لها أصول تنتسب إليها. ركز الكثير من الباحثين والباحثات على "الأسرة"، بما فيهم بعض من أعضاء مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات، في مصر ولبنان وفلسطين، وما زالوا يركزون ويركزن عليها. سألنا في مناقشاتنا، ما الذي بقي أو ضاع باستخدام إطار العائلات، عدا الأسرة؟ هل تفترض الأسرة مسبقاً تحولاً للأسرة النووية و"فرض الحداثة" في ظل ظروف أنواع معينة من التحول الحضري؟ لكننا وجدنا أن الأسرة في جميع هذه البلدان الثلاثة لم تكن نووية في أغلب الأحوال؛ وكانت مختلفة اختلافاً تاماً عن شبكات القرابة. تتجلى في العائلة، بتغلغلها الفعال والمعنوي، كل من الاستراتيجيات والمعايير الخطابية المحلية والقومية التي لا تظهر في مصطلح "الأسرة" الأكثر عرضاً في السياق السكاني؛ ووجدنا أن مصطلح "العائلات" هو المصطلح المحلي ذو العلاقة بالموضوع.

"الأسرة" هو المصطلح المستخدم في اللغة العربية الفصحى، أما "العائلة" فيستخدم في اللغة العامية-والاثتان لا يحتويان جميع ظلال المعنى التي في أقرب مصطلح إنجليزي تقريبي لهما "family"، وكلاهما ليس له مجموعة ثابتة من المرجعيات العملية. لكننا نعيد القول بأن اهتمامنا بالمصطلح الدال على فئات التنظيم الاجتماعي أقل من اهتمامنا بالسلوكيات الاجتماعية التي تستدعيها هذه الفئات وكيف تتشكل هذه السلوكيات الاجتماعية التي تدفع البشر إلى الاجتماع ببعضهم البعض ويعاد تشكيلها. يكاد يكون من المستحيل تعريف "الأسرة" أو "العائلة" من خلال مجموعة من المعايير التي تترجم باتساق إلى أشكال

اجتماعية على أرض الواقع العملي. فقد تساءلنا مثلاً كيف يمكن التوصل إلى أفضل فهم لخدم المنازل في سريلانكا (الفصل الثالث من هذا الكتاب) باعتبارهم أفراداً من "العائلة" (وليس مجرد أفراد من "الأسرة")؛ وكيف يخترقون الحدود الانفعالية والمعنوية، أحياناً باعتبارهم أقرباء رمزيين وأحياناً باعتبارهم غرباء لهم صلة حميمة بالعائلة. في بعض البلدان كان خدم المنازل أقرباء بعيدين أو قريبين، مما يجعل الحدود بين "العائلة" و"الأسرة" غير ثابتة وغير مؤكدة.

اتضح مع مقارنتنا لدراسات الحالة التي أجريناها أن الأقرب إلى المعقول أن نتكلم عن "العائلات" باعتبارها شبكات مركبة من العلاقات، أو باعتبارها شبكات عائلية متشابكة. إن من يُعتَبَر من العائلة أمر يمر بتحولات مستمرة مع تغير الأزمنة والظروف. وقد تعلمنا أن نتوَّخى الحرص فيما يتعلق بثنيت المعاني والمصطلحات، وأصابنا التعب على وجه الخصوص من البيانات الإحصائية القومية أو الدولية (الفصل الرابع من هذا الكتاب) التي ترد فيها مصطلحات من قبيل "الأسرة" و"العائلة" كما لو كانت مسلمت ثابتة. تولدت الكثير من هذه المصطلحات أو المجازات عن المشروعات الخاصة بالدول المهيمنة على التخطيط، التي تعكف على جمع البيانات من أجل خططها السياسية. وفي بعض الحالات، تفرض المؤسسات الدينية مجازات ومصطلحات لوضع رؤاها الاجتماعية في موقع الصدارة. والمنظمات المعنية بالتنمية، والمنظمات غير الحكومية، القومية منها والدولية، يمكن أن يكون لها أيضاً اهتمامات بالاستثمار في

إيقاف وضع أهداف عملها في أطرها المتحركة ونقلها منها إلى أطر ثابتة. تهتم مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات بوضع المجازات والمصطلحات المألوفة المرتبطة بالسلوكيات الاجتماعية العائلية موضع التساؤل لإظهار ما بها من إشكاليات.

لقد سألنا عن ما هو العمل الذي تتجزه الاستخدامات المجازية لمصطلح "العائلة". من التحديات التي واجهتنا في هذا الصدد كيف ندرس العائلات دون تجسيد فئة "العائلة" وإعادة غرسها. لهذا السبب، اخترنا أن نستخدم مصطلح "عائلات" وليس "عائلة" للإشارة إلى تنوع السياقات وما تقدمه من منظورات متعددة للعائلات. واخترنا استخدام كلمة العائلة "العربية" مقابل "الإسلامية" أو "الشرق أوسطية" أو "المصرية" أو "اللبنانية" أو "الفلسطينية" للإشارة إلى المشروع التاريخي المقارن مع ما يصاحبه من وضع للموضوع في أطر سياقات مختلفة. لا تقف مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات عند دراسة "ما هي" العائلة (لا لتثبيت ما إذا كانت تعرّف برابطة الدم أم لا، ودم من، وأي "نوع" من الدم، أو غير ذلك من التعريفات المعروفة)، بل اهتمنا بفهم كيف يجري إنتاجها مادياً وخطابياً، وما الذي صارت تعنيه لجماعة أعضائها المتنوعين والمتغيرين التي تحشد لها المشاعر السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والمعنوية المؤثرة.

وحيث إننا وضعنا تطبيق "العائلة" مقابل "الأسرة" على الخبرات المعيشة الملموسة في هذه البلدان العربية موضع التساؤل، فقد تساءلنا أيضاً عن استخدام مصطلح العائلة مقابل مصطلح "النوع الاجتماعي"

ومقابل مصطلح "النساء". فكرنا في السبب الذي جعل الباحثات النسويات يهرين من دراسات العائلة. الكثير من الشخصيات المركزية في مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات أتت من دراسات النوع الاجتماعي، وتدرّين على النظر إلى دراسات العائلة باعتبارها غابة راكدة من المصطلحات. ما الذي جعلنا نتحول إلى دراسة العائلات العربية؟ قادنا بحثنا إلى إثارة أسئلة عن ما الذي فقد بتفضيل "النوع الاجتماعي" أو "النساء" مقابل "العائلة" بوصفها نقطة انطلاق؛ ما تأثيرات التحول في أطر المرجعية على نتائج الدراسات الأكاديمية، بل أيضاً على الأنشطة السياسية التي فحسناها. وجدنا أن "العائلة" مشروع من نوع مختلف عن "النساء" أو "النوع الاجتماعي" في سياق مصر، ولبنان، وفلسطين.

حوّلت الدراسات النسوية التي أجريت في ستينيات القرن العشرين وسبعينياته مصطلحات النقاش إلى "دراسات المرأة" و"دراسات النوع الاجتماعي"، مهملّة العائلة باعتبارها مجموعة من العلاقات، أو واضحة العائلة موضع إطار ينبغي أن تُحرّر النساء أنفسهن منه لكي يجدن القدرة على حرية اتخاذ القرار والفعل. أدت العقود العديدة التي حظي فيها النوع الاجتماعي بالتفضيل إلى تفتيت "الاجتماعي" إلى أفراد في الكثير من الدراسات النسوية. وبدا أنه لا يمكن رؤية الهياكل الاجتماعية إلا في إطار "الفرد"، و"الذات"، و"ذاتية الفرد صاحب الذات". أكثر ما ضاع هو الفوارق الطفيفة أو العميقة بين سياقات العلاقات الاجتماعية، وأكثر ما فقد أيضاً هو التركيز المتناسق على الرجال وعلاقتهم الاجتماعية مع النساء. لكن دراسات النوع

الاجتماعي ودراسات العائلة لم تجتمع أبداً على نحو حسن في الدراسات الاجتماعية العربية. صارت دراسات النوع الاجتماعي ترمز إلى تمكين النساء في مواجهة عائلتهن، وأبعدت دراسات العائلة والنوع الاجتماعي عن بعضهما البعض، وجعلت العلاقة بينهما متوترة. وقد حوّلت مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات الجدلاً عن مساره بوضع العائلة والنوع الاجتماعي في حوار متبادل؛ فنحن نعيد مخاطبة الاجتماعي من منظور العائلة. إن مشروع مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات مشروع يصلح للتركيز بنظرة أحادية على النساء والنوع الاجتماعي، وليس عودة إلى هذه النظرة، ويعتبر العائلات مواقع للسلوكيات الاجتماعية التي تكشف التقاطعات بين النساء، والرجال، والنوع الاجتماعي، والأسرة، والأقارب، والشبكات الاجتماعية.

كشف وضع العائلات في إطار السلوك الاجتماعي خيطاً رابطاً آخر في دراستنا، ألا وهو بنية الرغبة والذات الفردية الرغبة. كيف تأتّى للفاعلين الاجتماعيين الوصول إلى الرغبة في "العائلات"، وإلى اشتهاة "الحياة العائلية"؟ كان هذا سؤالاً التفتنا له. وقادنا هذا السؤال إلى إعادة التفكير في أفكارنا عن "الشباب"، الشباب باعتبارهم هدفاً لل"خطاب العام"، والزواج باعتباره مكاناً يحتوى الشباب، والدولة باعتبارها مكاناً يحتوى الرغبة (الفصل الثاني من هذا الكتاب). لقد ناقشنا الطرق التي لا يكون بها الزواج حلاً؛ الطرق التي يكون بها العقد الاجتماعي أداة ضبط يتمرّد عليها الناس، لكنها طرق لم تتحدّ ما نسميه الزواج أو تجعله مستحيلاً. لقد أثّرنا سؤالاً عن الأنواع المختلفة للعقود الاجتماعية التي تظهر على مستوى المجتمع المحلي،

والطرق التي قد تتحدى بها هذه العقود الاجتماعية العقد الاجتماعي المغروس في عمق الدولة الحديثة. ووجدنا أنه بينما قد يتمرد الشباب ضد الدولة غير القومية، فلم يتحدَّ أحد فكرة الزواج بشكل أساسي في مصر، ولا لبنان ولا فلسطين. وبينما يظل الزواج ممكنًا فقط لذوات فردية معترف بها في إطار العقد الاجتماعي، فإن الرغبة الشبابية قد تكون وسيلة للتملص من الدولة والابتعاد عنها إلى ضروب من المستقبل الذي لا علاقة له بالقومية. وجدنا أن أحلام الشباب عن الهجرة تدور حول مستقبل لا علاقة له بالدولة القومية؛ وعن رغبات لا علاقة لها بالقومية. كثيرًا ما تركز الكتابات عن تمرد الشباب على طرق نقض العقد الاجتماعي على المستوى الاجتماعي ومستوى المجتمع المحلي. تحتفي هذه الكتابات بالتمرد الذي يتحدى المجتمع المحلي الاجتماعي -نقض العقد الاجتماعي على مستوى المجتمع المحلي- طالما كان لا يتحدى العقد اليعقوبي الموجود في الدولة.

بدأت مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات النظر إلى العقد الاجتماعي على مستوى الدولة والعقد الاجتماعي على مستوى المجتمع المحلي في مصر، ولبنان، وفلسطين. كثيرًا ما احتقت الدراسات في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا بنقض العقد الاجتماعي على مستوى المجتمع المحلي، لكن ليس على مستوى الدولة؛ أما في مصر، ولبنان، وفلسطين فوجدنا التمرد على مستوى الدولة وليس على مستوى المجتمع المحلي. عزَّز إدراك مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات لهذا الأمر اهتمامها بالعائلات حيث

إن المجتمع المحلي يأخذ موقعه من خلال الزواج والعائلة. ويمكننا القول بأن الشباب في مصر، ولبنان، وفلسطين لم يتحدّ الزواج والعائلة.

إن قضايا الشباب، والرغبة، والزواج، والتعلق بالموقع الإقليمي والانتقال مهمة للمشروعين المركزيين لمجموعة العمل المعنية بدراسة الأسرة:

(1) الخطاب العام والشباب (الفصل الثاني من هذا الكتاب) ومشروعه الفرعي عن الدراسات

المسحية للبيانات على المستوى القومي (الفصل الرابع من هذا الكتاب)؛ و

(2) عبور الحدود (الفصل الثالث من هذا الكتاب).

أخذت مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات العربية في اعتبارها عددًا من أسئلة البحث. تجمعت اهتماماتنا حول هذين المسارين لسببين رئيسيين: أولاً: الشباب الذين تقل أعمارهم عن 25 عامًا يشكلون ما بين 60-70% من السكان في معظم المجتمعات العربية. وبينما يشكل الشباب قطاعًا عمريًا أضيق نطاقًا (يختلف معدل عمر "الشباب" باختلاف البلدان والقضايا المطروحة للبحث ويتراوح ما بين 12 إلى 25 عامًا أو أكثر)، فإن التركيز على الشباب لا يعني مجرد التركيز على مستقبل المجتمعات العربية، بل على حاضرها وغالبية سكانها أيضًا. كان الشباب ذا أهمية لمشروعات الدولة الحديثة المهيمنة على التخطيط، ومن ثم تتجلى في كيفية تمثيل الشباب في الخطاب العام (وسائل الإعلام، والمؤسسات القانونية والتعليمية)

الاهتمامات والقضايا التي تقع موقع القلب من هذه المشروعات. ثانيًا، أدركت مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات أن التحولات في كيفية حدوث التشابك بين خيوط العائلة وخيوط غيرها من الساحات العامة للحياة الاجتماعية وتميزها عنها مؤشر مهم للتغير الاجتماعي محليًا وتاريخيًا. وتسليمًا بالتغيرات المحمومة التي جلبتها الهجرة، والحرب والتهجير في فلسطين، ولبنان، ومصر، فإن الحدود المتغيرة بين العائلة باعتبارها ساحة "خاصة" وبين المجال "العام" تشير إلى التحولات المهمة عبر جميع الدوائر الاجتماعية وتعززها. فهي من ثم مؤشر رئيسي للتطورات الاجتماعية. العام والخاص يخلقان حدودًا خصوصية تخترقها وتنتهكها كل من التحولات القومية والعالمية. يحدث عبور الحدود محليًا، وعلى المستوى القومي، والمستوى الكوني. يوثق التزام مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلة بالبحث المقارن سمة التحول في تكوين الجماعات الاجتماعية، ليضعها على أرض مواقعها المحلية، وليبحث التقاطعات المتغيرة ولكنها متضافرة للفئات الاجتماعية الرئيسية، بما فيها النزعة العائلية، والعرق، والقومية، والدين، والقبائلية، والانتماء الإقليمي من خلال العمل التطبيقي لهذين المسارين البحثيين المركزيين.

بحث مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات العربية: المشروع العابر للحدود

ركز بحث مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات العربية المعنون بـ"المشروع العابر للحدود"

(الفصل الثالث من هذا الكتاب) على المعاني المتغيرة للعائلة التي تظهر في تغير الحدود بين "العام"

و"الخاص" تحت ظروف الحرب، والهجرة، والعنف، والتهجير. مَنْ الذي يُعتبر من العائلة؟ وما المواقع التي

تعتبر "عائلة"؟ وكيف تتغير ديناميكيات العائلة تحت ظروف القلاقل؟ كل هذه أمور مهمة لفهم كيف تتكيف

العائلات مع التغير. نتج عن دوران الحدود في الشرق الأوسط حول مشروعات بناء الدولة في القرن العشرين

وجود عائلات عبر الحدود. صارت بعض العائلات أردنية، ولبنانية، وفلسطينية، ومصرية، وسورية بسبب

رسم الحدود السياسية، مما فرض هويات تنتمي إلى أراضٍ لم تكن أصلية. لكن الناس اعتنقوا الحدود الجديدة

والهويات المرتبطة بها بمرور الزمن. وتقاطعت العائلات مع التشكيلات الجديدة للأراضي، والتعريفات القومية

والإقليمية المخترعة حديثاً للهوية.

المجموعة المعنية بدراسة عبور الحدود تأخذ بمدخل تاريخي، مدركة أن تغير الحدود وانتهاكها ليس

أمرًا جديدًا على المنطقة (Thompson 2000, Khater 2001). يحكي الأصل الذي تنتمي إليه جغرافية

هذه المنطقة الإقليمية قصة صعود وهبوط النظم، والدول، والإمبراطوريات التي عارضت دائمًا السمات

السياسية لأرض المنطقة وغيّرتها. تتناول المجموعة التي تدرس عبور الحدود قضايا الحركة، والانتزاع من

الأراضي وإعادة دخول الأراضي. إنها تزعم استقرار مشروع الأمة/العائلة والدولة/العائلة بإظهار العائلة لا

بوصفها كياناً ساكناً، بل كياناً لا يكف عن إعادة التشكل. لا توجد "عائلة" عربية، بل توجد "عائلات" عربية. والعائلات التي تبدو هامشية في الكتابات المقترنة بالصور التمثيلية "المعيارية" لـ"العائلة العربية ليست هامشية، بل هي مركزية بالنسبة إلى التاريخ نفسه وخبرات العائلات في هذه المنطقة. العائلات التي انتقلت من مكانها بسبب التهجير القسري تحت ظروف الحرب والعنف؛ والتي طُردت بسبب القلاقل الاقتصادية، وإعادة رسم الخرائط السياسية أو الاجتماعية؛ أو انتقلت من مكانها طوعاً استجابةً لتهيؤات عن ضروب من المستقبل الجديد؛ كلها شخصيات رئيسية في قصص مصر، ولبنان، وفلسطين.

دخلت بنيات الشباب والرغبة في نسيج مساريّ بحث المجموعة المركزية كليهما، ألا وهما مسارا الخطاب العام، والشباب وعبور الحدود. تحدد الدول الهويات حسب الانتماء إلى أراضي الدولة من خلال ممارسات أعمال الدولة، مثل استخراج جوازات السفر، وتصاريح دخول أراضي الدولة (الفيزا)، وتصاريح السفر. ونجد الشباب في هذه البلدان الثلاثة يرغبون في مغادرتها، في الانتقال والابتعاد بأنفسهم خارج حدود الدولة. إنهم يسعون إلى مستقبل لا علاقة له بوطنهم القومي. عمليات عبور الحدود ليست شيئاً شاداً خاصاً بهذه البلدان أو هذه المنطقة؛ بل هي أمر مركزي للمرويات التاريخية عن المنطقة. كانت الهجرة موضعاً تاريخياً للرغبة بالنسبة إلى الشباب، فقد تشوق الشباب في هذه البلدان لما يزيد عن 150 سنة إلى مغادرتها، للهجرة، للبحث عن مستقبل مختلف. تضع مجموعة دراسة عبور الحدود يدها على تلك الرغبات عند لحظة

معينة من التاريخ. لا يمكننا فهم الشباب في المنطقة دون النظر إلى الرغبة المركزية للفرار خارج الحدود، لتحدي حدود المنطقة والموقع المحلي. هذه الرغبة المحمومة في الانتقال، وفي الهجرة، تكشف أن الرؤية المرتبطة بأرض البلد في عمل الدولة في المنطقة قد أصابها العجز.

درست مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات تحول العقد الاجتماعي إلى مستوى المجتمع المحلي بطرق جديدة مختلفة (عن طريق الحركات الإسلامية، ومن خلال الزواج والعائلة). وظهرت القابلية للانتقال (الهجرة القسرية، والطوعية، التي ينتشوق إليها الناس، وضروب المستقبل التي لا علاقة لها بالوطن القومي) باعتبارها مواضع أخرى للرغبة المركزية. كانت النزعة إلى الانتقال، وهي المجاز الحالي لعبور الحدود، مركزية بالنسبة إلى تاريخ العائلات العربية لما يقرب من 150 سنة (Khater 2001, Thompson 2000). وجدت الحروب الأهلية، واحتلال الاستعمار الكولونيالي، والهجرات القسرية، والقتال الناتجة عن مشروعات الدول المهيمنة على التخطيط فيما بعد رحيل الاستعمار الكولونيالي باعتبارها الشرط الثابت للسلوك الاجتماعي في العالم العربي منذ بدايات القرن التاسع عشر. وأدت التغييرات في الدولة، والنزعة الكولونيالية، وما بعد الكولونيالية، والمشروعات السياسية الحالية إلى إيجاد المشروعات الاجتماعية لوقتنا الراهن، بما في ذلك ما يسمى "العودة" إلى "العائلات". أثارت الحركة الدؤوبة، وتحدي ربط رؤى المستقبل بحدود أرض معينة سؤالاً لدى مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات حول كيف تعيد العائلات العربية

إنتاج نفسها في ظروف انتقالية. تتحدى مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات مصطلح "العربية" باعتباره لفظاً يصف الاسم "عائلات" ("العائلات العربية")، حيث إننا أدركنا وجود التحركات إلى أفريقيا، وأمريكا، وأمريكا اللاتينية، وأستراليا، وأوروبا، وآسيا، وبخاصة في الـ 150-200 سنة الأخيرة. فقد وردت تقارير عن البرازيل وحدها بوجود كتلة سكانية من أصل لبناني يبلغ عددها ما يقارب تسعة مليون نسمة (ضعف عدد سكان لبنان الذي يقدر بـ 4.5 مليون نسمة). كانت هذه التحركات قابلة للعودة في الاتجاه المعاكس دائماً في معظم الأحوال، مع "عودة" الأفراد والعائلات، و"اجتماع شمل جماعتهم"، وإعادة تشكيل أنفسهم، مما يتحدى الصورة التمثيلية للعائلات العربية بوصفها كياناً منفصلاً عن محيطها المحلي أو سياقها. صارت مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات العربية أكثر تشككاً في ما إذا كانت صفة العربية أو العائلات العربية تعني وجودها في حيز محدد من الأرض، مما يعزّز رأينا بضرورة دمج أماكن التغرب دمجاً عضوياً في كيفية تفكيرنا في العائلات العربية. ومع محاولتنا للتفكير "في صفة العربية"، وجدناها تراوغنا - مما يعزّز إدراكنا لاحتياجنا إلى تناول العائلات باعتبارها شبكات انتقالية لا تكف عن الظهور والتحول.

لكن صفة الانتقالية كما تستخدمها مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات العربية ليست مجرد شيء يخص تحرك أناس من مصر، ولبنان، وفلسطين، إلى خارج حدود وطنهم القومي، بل هي أيضاً شيء يخص تحرك الناس إلى داخل هذه الحدود. صارت هذه البلدان نفسها محطات وصول للهجرة إليها من مواقع أخرى،

مما يزيد من زعزعة فكرة تحديد "العائلات العربية" بحدود أرض معينة. والعمالة المهاجرة، وعلى وجه الخصوص العمالة المنزلية المهاجرة مهمة لفهم العائلات العربية في هذه المواقع. تدرس مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات العربية الأصل الذي تنتسب إليه العمالة المنزلية وعلاقتها بهياكل بنية العائلة، وديناميكياتها، وخطاباتها، ورموزها اللغوية. فبينما كانت العمالة المنزلية لزمان طويل جزءاً من عائلات النخبة، فقد صارت على نحو متزايد جزءاً من العائلات عبر جميع المستويات الاجتماعية. يكشف التحليل التاريخي أن العمالة المنزلية كانت منذ مائة عاماً مضت تتكون عادة من أناس محليين، من الإناث غالباً، وكثيراً ما كُنَّ من صغيرات السن، وكُنَّ في معظم الأحوال ممن تربطن أواصر قرابة بعيدة بمخدوميهن. لكن عبر النصف قرن الأخير، صارت العمالة المنزلية عالمية على نحو متزايد، إذ بدأ الأمر باستيراد أفراد (من الإناث غالباً) من الطبقات الأفقر من البلدان العربية المجاورة، وبعد ذلك من بلدان غير عربية ليست بعيدة جداً. العمالة المنزلية في مصر ولبنان اليوم بشكل خاص مستوردة من بلاد بعيدة مثل إثيوبيا، والسودان، وسريلانكا، والفلبين، وإندونيسيا، والهند. أثار تدفق تيار العمالة المنزلية، مع استيراد أفرادها من المتكلمات بمختلف اللغات ومن مختلف الثقافات أسئلة مهمة للعائلات في هذه البلدان. "من الذي يربي أطفالنا"، "ما القيم التي يعتقنها"، و"أين أمهاتهم"، كل هذه أسئلة أثرت في وسائل الإعلام وغرف النقاش. صارت المعاملة التي تلقاها خادمت المنازل (التي تكون أحياناً مسيئة وفيها انتهاك لقوانين العمل المحلية

والدولية وإعلانات حقوق الإنسان) قضية عائلية، وقومية، ودولية. هل يجب دراسة هؤلاء الخادمت المنزليات الآتيات من الهند والفلبين وسريلانكا بوصفهن جزءاً من "العائلة العربية"؟ تتناول مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات العربية هذه القضايا وآثارها الضمنية على التحولات التي تحدث في العائلات العربية وحولها.

بحث مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات العربية: الخطاب العام ومشروع الشباب

يركز بحث الخطاب العام ومشروع الشباب (فصل 2) على الخطابات المتعلقة بـ"أزمة" الشباب، وتشكيل العائلة (من خلال الزواج) وخطابات وسائل الإعلام عن الشباب والعائلات في فلسطين، ولبنان، ومصر. كيف خُلِقَ الجدل العام؟ ومن الذي يخلقه؟ وفي أيّ المواقع جرى إنتاجه؟ وكيف استُخدمت فنّتا الشباب والعائلة في الجدالات العامة؟ وماذا يُقصد بهما؟ ومن يستخدمهما؟ وكيف تستجيب المكونات الرئيسية (الشباب، والعائلات، والهيئات الحكومية، والمنظمات غير الحكومية) لاستخداماتهما؟- كل هذه أسئلة مركزية للمشروع. اهتم مشروع بحث الخطاب العام ومجموعات الشباب بما أقرته الدولة، والمحاكم، والقانون، والمناهج التعليمية، ووسائل الإعلام، والثقافة العامة في خطاباتهما من أفكار عن العائلة. نحن ننظر إلى الطرق التي تتبادل بها العائلة والدولة تكوين بعضهما البعض، خطابياً ومادياً. نحن لا نفترض مسبقاً وجود

مجموعة وحيدة من الخطابات العامة عن الشباب، تتوقع حدوث خطابات عامة متنافسة وخطابات خاصة متنافسة مع ترجمة غير متساوية بين الخطابين العام والخاص. إن كيفية إدراك الشباب وغيرهم من الناس المهمين للخطابات العامة، وخلقهم لها، واشتباكهم معها -عبر خطوط الطبقة، والدين، وخطوط الحدود الإقليمية، والنوع الاجتماعي، والأجيال- وفي مختلف الساحات مثل القانون، والتعليم، ووسائل الإعلام نقاط انطلاق مهمة لمسار هذا البحث.

تمر العائلات العربية بتغيرات عميقة، وهي تغيرات تولد تغيرات مهمة في جميع المجتمعات العربية وتتجلى فيها هذه التغيرات. وكثيرًا ما تصوّر هذه التغيرات في العائلات العربية وتمثّل في الملتقيات العربية العامة باعتبارها "أزمات". نحن نأمل أن نضطلع بدراسة نقدية عن السبب الذي يجعل الناس يعتبرون العائلات والشباب "في أزمة"، وذلك بأن نثير التساؤلات حول الأفكار المسلم بها عن "الأزمة" و"التغير". كثيرًا ما تكون "الأزمات" المتصورة في النظم العائلية من الأعراض الدالة على وجود الأنظمة الاجتماعية في أزمة أو وجودها في خضم تغير. إن مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات العربية مهمة بتوثيق كيف تعطي الصور التمثيلية التي تقدم في الملتقيات العامة إشارة لحدوث تغيرات رئيسية في المجتمع وغالبًا ما تؤدي إلى حدوث التغير.

تولي المجموعة المعنية بالخطاب العام والشباب اهتمامًا خاصًا لدراسة ثلاثة أسئلة: 1) لماذا يعتبر

الشباب "جيلًا ضائعًا" في لبنان ومصر، لكنه يُعتبر جيلًا منقذًا في فلسطين، لا سيما الذكور منهم

("الشباب")؟ على من يقع اللوم وإلى من يرجع الفضل بشأن أحوال الشباب؟ كيف يؤثر الخطاب العام في

إمكانات التدخل لصالح الشباب؟ ما فروق الأهمية بين الشبان والشابات؟ 2) ما العائلة "المثالية"، كما تتمثل

في مشروعات بناء الدول القومية الثلاث؟ 3) كيف يتجلى الشباب في الخطابات العامة الضمنية عن

الشباب، والعلاقات العائلية المثالية، والحياة الجنسية الخاضعة للمعايير؟ وكيف تؤثر هذه الخطابات العامة

في الشباب في مجتمعاتهم؟

كثيرًا ما تُعتبر الخطابات العربية العامة "أزمات" الشباب العربي المتصورة سببًا لأزمات العائلات

العربية والمجتمعات العربية، وأعراضًا على تلك الأزمات. يختلف الوقت الذي يعتبر فيه الشباب "مشكلة"

وكيفية تقديم مشكلاتهم باعتبارها مشكلات "عائلية" أو "اجتماعية، أو "سياسية" أو "اقتصادية"، أو "دينية"، أو

"ثقافية" باختلاف ديناميكيات النظم الحاكمة. نشأ الشباب العربي باعتباره حارس المستقبل وأمله في

المشروعات القومية العربية، منذ حوالي نصف قرن مضى. واليوم، غالبًا ما يمثل الشباب العربي في لبنان

ومصر في الخطاب العام باعتباره "جيلًا ضائعًا". ويقدم "ضياعه" مقابل فكرة "العائلة المثالية" الممثلة في بناء

الدولة القومية في هذه البلدان. لكن الشباب الفلسطيني لا يعتبر ضائعًا، بل بطلاً، فهم منقذو الأمة

القومية/الدولة الفلسطينية. لكن حقائق الاحتلال، والصراع المسلح، ومخاطر الموت تضع الشباب، حاملي راية التحرير القومي الطبيعيين، في مركز الأزمات في فلسطين. وهذه الخطابات العامة عن الشباب مغروس فيها الخطابات الضمنية عن الحياة الجنسية الخاضعة للمعايير، والنوع الاجتماعي والجيل. كيف اختُرت الخطابات العامة عن الشباب، وعُرضت، وحُصصت لصفة نوعية اجتماعية (رجال أو نساء) ووضعت في مواضع من حيث العائلات "المثالية" في مشروعات بناء الدولة القومية؟ كيف نُقشت الخطابات في القانون، والتعليم والثقافة العامة؟ كيف أسهم الفاعلون المهمون في إنتاج هذه الخطابات أو معانيها الضمنية أو كيف قاوموها؟ هذه أسئلة مهمة لمسار هذا البحث.

إن دور الشباب مهم لجميع الصراعات الكبرى في المنطقة. فالشباب هم غالبًا القوى المادية المستخدمة في الصراع. والشباب هم من يُحشدون للحروب؛ والشباب في معظم الأحوال هم من يدفعون ثمن الصراع بأرواحهم التي يفقدونها، وضياع فرص التعليم عليهم، وتدمير مستقبلهم الوظيفي. المجموعة المعنية بدراسة الخطاب العام والشباب تُخرج للعلن أصوات الشباب والفاعلين المقدر لهم أن يكونوا مسؤولين عن الشباب، وتتنظر في كيف يُمثَّل الشباب وكيف يرون أنفسهم وفهمهم لمعنى قدرتهم على أخذ القرار. الهدف هو إنشاء أطر لفهم التحولات المهمة للعائلات العربية التي تستدعي فهم ضروب الجدل الدائر حول الشباب، فهُم أكبر قطاعات العائلات العربية والمجتمعات العربية.

لا ترى مجموعة البحث الشباب، ولا العائلات، ولا الدولة، ولا الأمة، ولا الدين، ولا الثقافة، ولا النساء، ولا الرجال، ولا حتى فكرة "الخطاب" فئات متجانسة. "الشباب" يُصنفون حسب النوع الاجتماعي (رجال أو نساء)، والطبقة، والديانة، والمنطقة التي ينتمون إليها، والتعليم؛ بل إن القطاعات العمرية التي تحسب شبابًا تختلف من بلد إلى آخر، ومن زمن إلى آخر. تفصل مجموعة البحث مصطلح "العائلة العربية" عن الخطابات العامة عن العائلات "المعيارية" لتفسر أسباب المجموعة الهائلة من الترتيبات الاجتماعية الملموسة المعيشة عبر الفوارق القومية، والدينية، والطبقية، والعرقية، والإقليمية. "العائلة" ليست كيانًا متجانسًا بلا تمايز. مجموعة البحث تدرس العائلة باعتبارها مكونة من فاعلين عديدين ذوي اهتمامات متباينة، وتشمل الأقرباء من العائلة الممتدة، والأقرباء الرمزيين، والأجيال المتعددة، مع الاستمرار الدائم لمفعول النوع الاجتماعي والتراتب الهرمي. ما الذي يكوّن "العائلة"، في الخطاب والواقع، وتحولاتها، وحدود التغيرات العائلية، استجابة للظروف الاجتماعية، والسياسية والاقتصادية المتغيرة.

تُقدم الخطابات العامة في الثقافة الشعبية من خلال التلفزيون، وأفلام السينما، والمجلات الشعبية، والمسرحيات والروايات. كما تُقدم من خلال المناهج المدرسية القومية التي تؤثر في التنشئة الاجتماعية للأطفال لتحولهم إلى مواطنين قوميين. والأهم أن الخطابات العامة يتجلى فيها القانون وتؤثر فيه (قوانين المواطنة، وقوانين العائلة، وقوانين العمل)، وغيرها من الساحات المهمة مثل القوانين المنظمة لحرية التعبير

عن الرأي وأنشطة المنظمات غير الحكومية. فالخطابات العامة ساحات للفحص الشامل للاهتمامات الاجتماعية، كما أنها أدوات ضبط لصك حقائق الواقع الاجتماعي. إن فهم الديناميكيات التي تحدث بين حقائق الواقع المعيشة وبين آليات خلق هذه الحقائق الواقعية مهم لفهم كيف تؤثر الخطابات العامة في مسائل المواطنة، والحقوق، والمساواة، والديموقراطية.

يشكل الحثُّ على دفع عجلة الخلافات العامة حول "أزمات" العائلات العربية كما تتمثل في ضروب الجدل العام حول "أزمات" الشباب العربي اهتمامًا بمسألة الأصالة الثقافية. إن ما يعتقده الشباب عن الهوية العربية، والثقافة العربية، وما هو "الأصيل" (مقابل "الغربي") وكيف يتصرفون حيال ذلك مسائل تخضع لجدال حار في الخطابات العربية. يثير قادة الدولة، وقادة الرأي، والعائلات، والشباب، أسئلة حول كيف يرتبطون بـ"الآخر" (الغرب)؛ هل الآخر مجرد شيء مختلف عنهم أم هو شيء سيئ؟ كيف يميزون أنفسهم عن الآخر؛ بل هل من الممكن فك الاشتباك مع الآخر والانفصال عنه؟ هل يشعرون بأنهم لا بد أن يفكوا ارتباطهم به ليوضحوا هويتهم؟ كيف يشجع المرء "الآخر" ويستجيب له؟ وهل تستدعي الاستجابة له وتشجيعه فقدان الهوية والأصالة أو الإضرار بهما؟ هل تسمح الأصالة بالتغير أم لا تسمح به؟ تتباين قوة الانفعالات العاطفية المرتبطة برسم خط بين الذات والآخر مع الخطابات الغربية التي تأخذ حاليًا بالتعددية والتنوع باعتبارهما تعبيرات عن المساواة. يؤطر القلق على "الأصالة" الخطابات العامة ويؤطر الأسئلة الثلاثة

باعتبارها أسئلة تدور حول الأصالة. يضع بحثنا الأسئلة الثلاثة في سياق ضروب الجدل العامة المحلية حول "الأصالة".

الخطابات العامة والممارسات الخطابية منظار يخدم في دراسة استراتيجيات القوة وعلاقاتها، والاندماج والمقاومة، والسبل المحتملة للتدخل من أجل التغيير والقائمة على فهم قوة الفاعلين وقدرتهم على اتخاذ القرار على جميع مستويات المجتمع. وهكذا، يقدم التحليل النقدي للخطابات العامة والممارسات الخطابية العامة في حد ذاته أداة أولية لإنشاء أطر للاستجابة للتحويلات الاجتماعية كما يتصورها الناس والإجابة عن سؤال: ما العمل؟ نقطة البداية إذن هي فهم الخلافات حول الشباب كما يديرها الفاعلون المهمون في الجدل الدائر في الملتقيات العامة.

إعادة رسم أطر مشروعات العائلة العربية: الكتاب الأول من سلسلة كتب مشروع مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات العربية

يمثل الكتاب الأول عمل مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات العربية خلال السنوات الثلاث الأولى (2001-2004) من صياغة المداخل النظرية متعددة التخصصات لدراسة العائلات العربية في مصر، ولبنان، وفلسطين (المرحلة الأولى من مشروع عمل مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات العربية).

يبدأ كل جزء من أجزاء الكتاب بمقدمة عبارة عن قسم قصير عن "السياق" الذي يفسر خلفية الإطار المرسوم لهذه الأقسام. يتناول الجزء الثاني أسئلة وأطرًا نشأت وتطورت في المشروعين الرئيسيين لمجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات العربية، ألا وهما الخطاب العام والشباب، وعبور الحدود، والمشروع الفرعي عن إنتاج البيانات القومية عن طريق الدراسة المسحية. تنتظم الفصول التي تتناول الخطاب العام والشباب حول المواقع الرئيسية الثلاثة التي حددتها المجموعة باعتبارها مواقع مهمة لفهم الخطاب والشباب، وهي: القانون، والسياسة العامة، والتعليم، والخطاب العام المنقول عبر وسائل الإعلام. أما الفصول التي تدور حول عبور الحدود فتنتظم في قسمين، يركز أحدهما على إعادة التشكيل الرئيسية للـ"عام" و"الخاص" ويركز الآخر على الهجرة القسرية والطرْد. ويتناول الفصل الذي يدرس إنتاج البيانات على المستوى القومي عن طريق الدراسة المسحية كيف يتم إنتاج العائلات والشباب في مشروعات الدولة المهيمنة على التخطيط من خلال جمع، وتحليل، وتوزيع مختلف صياغات ما يكوّن "البيانات" (الإحصائيات، والدراسات المسحية، واختراع فئات ذات صفة جوهرية، وما إلى ذلك). ويقدم الجزء الثالث من الكتاب حالة الفن في الكتابات السابقة عن العائلات والشباب في مصر، ولبنان، وفلسطين. وقد كرّسنا فصلاً منفصلاً لعرض الكتابات العلمية السابقة عن كل بلد من هذه البلدان. ويقدم الجزء الرابع الأصل الذي ينتسب إليه مشروع مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات العربية، وكيف طُرِح وتطور، مع التركيز بوجه خاص على الرؤية متعددة التخصصات، والمقارنة،

والجماعية، والجامعة بين دراسة مختلف الأجيال، وهي رؤية دفعت أنشطتنا قدمًا ومدَّتْها بالطاقة. ويشمل الجزء الخامس ثبًتًا بالمراجع لما يزيد عن 2000 مادة عن العائلات العربية من القرن التاسع عشر حتى وقتنا الراهن. معظم المراجع باللغة الإنجليزية. وقد وضعنا ضمنها مصادر عربية، وفرنسية وألمانية بقدر أقل؛ لأننا ليس لدينا عدد كافٍ من العاملين للتوسع في هذه الأقسام، لكننا فعلنا ذلك متوقعين أن العمل سيُقدم بتوسع على موقع مجموعة العمل المعنية بدراسة العائلات العربية على الإنترنت <http://afwg.info> وفي الإصدارات المستقبلية له.

المراجع الواردة في هذه المقدمة:

Abu-Lughod, Lila, ed. (1998) Remaking women. Feminism and Modernity in the Middle East. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Amin, Qasim (2000) The Liberation of women: Two Documents in the History of Egyptian Feminism. Tr. Samiha Sidhom Peterson. Cairo: American University Press.

Asad, Talal (2003). "Reconfigurations of Law and Ethics in Colonial Egypt". In Formations of the Secular: Christianity, Modernity, Islam. Stanford: Stanford University Press. Pp. 205–256. For a discussion on the historical development of familial terminology see pp. 231–235.

Baccetta, Paola (1999). "When the (Hindu) Nation Exiles Its Queers". *Social Text*. 61:141–166.

Barakat, Halim (1993). *The Arab World: Society, Culture, and State*. Berkeley: University of California Press.

Butler, Judith (2000). *Antigone's Claim. Kinship Between Life and Death*. New York: Columbia University Press.

Chatterjee, Partha (1993). *The Nation and Its Fragments*. Princeton: Princeton University Press.

Deleuze, Gilles (1997). Foreword. In Jacques Donzelot (1997). *The Policing of Families*. Baltimore: Johns Hopkins University Press. Pp. ix–xvii.

Donzelot, Jacques (1997). *The Policing of Families*. Baltimore: Johns Hopkins University Press.

Doumani, Bishara (1995). *Rediscovering Palestine: Merchants and Peasant in Jabal Nablus, 1700–1900*. Berkeley, University of California Press.

Doumani, Beshara (1998). "Endowing Family: Waqf, Property Devolution, and Gender in Greater Syria, 1800–1860." *Comparative Studies in Society and History*. 40 (1). Pp. 3–41.

Doumani, Bishara, ed., (2003). *Family History in the Middle East. Household, Property, and Gender*. Albany: State University of New York Press.

Fineman, Martha Albertson (1995). *The Neutered Mother, The Sexual Family and Other Twentieth Century Tragedies*. New York: Routledge

Goody, Jack (1983) *The Development of Family and Marriage in Europe*. Cambridge: Cambridge University Press.

Hanna, Nelly (1998) *Making Big Money in 1600. The Life and Times of Isma'il Abu Taqiyya, Egyptian Merchant*. Syracuse: Syracuse University Press

Hunt, Lynn (1992). *The Family Romance of the French Revolution*. Berkeley: University of California Press.

Joseph, Suad (1991). "Elite Strategies for State Building: Women, Family and State in Iraq and Lebanon". In *Women, Islam and the State*. Deniz Kandiyoti, Ed.. London: McMillan. Pp. 176–200.

Joseph, Suad (2005). "The Kin Contract and Citizenship in the Middle East". In *Women and Citizenship*. Marilyn Friedman, Ed. New York: Oxford University Press. Pp. 149–169.

Joseph, Suad (2008). "Famillism and Critical Arab Family Studies". In *Family Ties and Ideational Change in the Middle East*. Kathryn Yount and Hoda Rashad, Eds. New York: Routledge. Pp. 25–39.

Khater, Akram Fouad (2001). *Inventing Home: Immigration, Gender, and the Middle Class in Lebanon, 1870–1920*. Berkeley: University of California Press.

Makdissi, Ussama (2000). *The Culture of Sectarianism. Community, History, and Violence in Nineteenth-Century Ottoman Lebanon*. Berkeley: University of California Press.

Mernissi, Fatima (1994). *Dreams of Trespass: Tales of a Harem Girlhood*. Cambridge: Perseus Book.

Pollard, Lisa (2005) *Nurturing the Nation: The Family Politics of Modernizing, Colonizing and Liberating Egypt, 1805–1923*. Berkeley: University of California Press.

Rieker, Martina (2005) "Reinscribing Heritage in the MENA Region: Envisioning Motion before and after Barcelona". In *Tourism, Culture and Heritage in the Middle East*. Ed., Rami Daher, Clevedon, U.K.: Channel View Publications

Sayigh, Rosemary (2005) "A House is Not a Home: Permanent Impermanence of Habitat for Palestinian Expulsees in Lebanon" *Journal of Holy Land Studies*. Vol. 4. (1) May 2005. Pp 17–39.

Sayigh, Rosemary (2007) "Stories of Home: A Project to Voice Palestinian Camp Women Into History. Presented at MADA Conference (Arab Center for Applied Social Science), Nazareth–Birzeit, June 28–29.

Shakry, Omnia (1998) "Schooled Mothers and Structured Play: Child Rearing in Turn-of- the-Century Egypt," In *Remaking women. Feminism and Modernity in*

the Middle East. Ed., Lila Abu-Lughod. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Sharabi, Hisham (1988) Neopatriarchy: A Theory of Distorted Change in Arab Society. New York: Oxford University Press.

Stevens, Jacqueline (1999) Reproducing the State. Princeton: Princeton University Press.

Thompson, Elizabeth F. (2000) Colonial Citizens: Republican Rights, Paternal Privilege, and Gender in French Syria and Lebanon. New York: Columbia University Press.